الاصلاح الديني عند مارتن لوثر : جدل اللاهوت والسياسة

The religious reform of Martin Luther : dialectic of theology and politics

أ . م . د. قاسم جمعة راشد – كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

م . د. خضر دهو قاسم – كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

ملخص البحث

قاد الراهب الألماني (مارتن لوثر١٤٨٣-١٥٤٩) حركة الاصلاح الديني بعد نشره لإحتجاجاته ال ٩٥ عام ١٥١٧م ضد البابوية المسيحية في روما ، وفضح فيها استغلالها لمشاعر الناس الدينية بواسطة المتاجرة بصكوك الغفران ، وقد أسس إصلاحاته الدينية عبر إعادة تعريف لجوهر الايمان المسيحي بالضد من التفسير المسيحي الكاثوليكي في عصره . وقد كان نتيجة ذلك ، أن إنقسم العالم المسيحي الى مذهبين دينيين هما : الكاثوليك والبروتستانت . وإطروحة هذا البحث المركزية ، هي التدليل على أن إصلاحات لوثر التي خرجت من نقاش لاهوتي في الظاهر ، تعود الى صراعات سياسية في حقيقتها ، وأن حركة الإصلاح الديني لم تكن لتنتشر وتسود في اوربا لولا العامل السياسي والقومي .

Abstract

The German monk (Martin Luther ١٤٨٣-١٥٤٩) led the religious reform movement after the publication of his ٩٥th protests in ١٥١٧ against the Christian papacy in Rome, exposing its exploitation of the religious feelings of people by trading the sacraments of forgiveness. He established his religious reforms by redefining the essence of the Christian faith, In his time. As a result, the Christian world was divided into two religious denominations: Catholics and Protestants. The thesis of this central research is to demonstrate that Luther's reforms, which emerged from an apparent theological debate, are due to political conflicts in fact, and that the religious reform movement would not have spread to prevail in Europe without the political and national factor.

المقدمة

احتفل العالم بمرور خمسة قرون على حركة الاصلاح الديني التي دشنها مارتن لوثر في تشرين الأول ١٥١٧، بوصفها أحد أكثر الأحداث تأثيراً في تاريخ العالم الحديث، لا المسيحية فقط، فوثيقة الراهب ألالماني بأطروحاتها الخمس والتسعين ، التي علقها على أبواب كنيسة فيتنبرغ الخشبية، أشعلت فتيل ملحمة من الاضطرابات السياسية والدينية التي غيَّرت وجه أوروبا، ونتج عنها أكبر انفصال في المسيحية الغربية، وعدد من الحروب الدينية، لا تزال أصداؤها الطائفية تتردد اليوم. مع ذلك ، كانت أحد أبرز نتائج تلك الحركة الكبرى غير المباشرة، هي إسهامها في نشأة الدولة القومية. ولعل هذا هو دهاء التاريخ ، الذي يسير إلى مقصده الأسمى عبر كوى صغيرة ونوافذ ضيقة يتم فتحها في لحظة مناسبة . حيث أفضت جهود لوثر في نهاية المطاف ، إلى تفكيك السلطة البابوية، وبذر حبوب الدولة الحديثة ، وذلك بتمزيقها الوحدة الشكلية التي أبقت عليها المسيحية الكاثوليكية نحو ألف عام، بين القرنين الخامس والخامس عشر الميلاديين، وعاشت خلالها أوروبا ما اصطلح على تسميته بالعصور الوسطى المظلمة ، كحضارة مسيحية تحت إمرة الإمبراطورية الرومانية، على أرضية بنية إقطاعية.

كما يزعم البعض ان ترجمة لوثر للكتاب المقدس الى اللغة الالمانية - بعد أن كان حكراً على طبقة رجال الدين الذين يتقنون وحدهم اللغة اللاتينية – جعلته في متناول أفقر الناس ، فغدا هؤلاء لا يحتاجون الى إرشاد

كنسي . وقد أوصل ذلك الشعب الألماني الى أعظم انواع الحرية ، كما يقول الشاعر الألماني هانريش هاينه ، وان موجد اللغة الألمانية الموحدة ، لم يمنحهم حرية الحركة فحسب ، بل وسيلة الحركة أيضاً [١].كما يذهب عالم الاجتماع دوركهايم ، الى ان المسيحية البروتستانتية (اي المسيحية المحتجة التي إنبثقت من إصلاحات لوثر الدينية) كانت المصدر المباشر للفردية الحديثة .فإعادة النظر بمبدأ الوساطة بين السماء والارض الذي جسدته الكنيسة ، تشكل الخطوة الاولى باتجاه العصر الحديث (أي الحداثة)، حيث تؤدي العزلة التي قاد اليها التحرر من تلك الوساطة الى إدراك الإنسان لنفسه ولمسئوليته الشخصية. ومن جانب أخر، كانت المفارقة، هي أن الوجه الآخر لمذهب لوثر هذا ، هو تشدده بإقرار عبودية الأرادة الإنسانية في مقابل الأرادة الألهية والقول بالقضاء والقدر، يشهد على ذلك خلافه النظري مع أنصار النزعة الإنسانية من أتباع الراهب الاوغسطيني (إراسموس Erasmus ١٤٦٦-١٥٣٦). فهل يتسق هكذا مذهب مع الأراء التي تقدمت !!

عموماً، فأن المسألة التي ننوي إثارتها في هذا البحث ، لا تقتصر ، على عرض مضامين إحتجاج لوثر وطبيعة برنامجه الإصلاحي . فصحيح أن السلطة البابوية المسيحية التي جعلت من نفسها محتكرة الحق في فهم الدين ولاهوت السماء ، ووريثة ذخائر الانبياء والقديسين والمتاجرة بها . كانت سبباً وراء ذلك . وصحيح أيضاً ، أن الفهم الجديد لجوهر الإيمان المسيحي الذي أنتجه لوثر وبشكل غير مسبوق مثل دعامة عقائدية أطاحت برمزية المؤسسة الكنسية الروحية التي إكتسبتها طوال عصور. الا أن ما نُريد التنبيه عليه أكثر ، هو أن مشروع الإصلاح الديني اللوثري ، اذا كان قد مُنح الحياة في رحم اللاهوت ، فأنه لم يكن ليولد لولا السياسة . وإن الطبيعة الدينية السطحية لقضاياه تخبىء في طياتها عناصراً سياسيةً كامنةً في البنية الاجتماعية والاقتصادية للواقع الألماني والأوربي لذلك العصر، فإطروحات لوثر اللاهوتية تحمل نقيضها الجدلي في واقع سياسي واجتماعي مأزوم. هذا هو ما ننوي الكشف عنه مفصلاً في ثنايا البحث.

المبحث الاول : شخصية لوثر وقلقه الروحي

اولاً : طفولة قاسية ولد مارتن يوحنا لوثر في بلدة ايسليبن (التابعة الى مدينة إيرفورت حالياً) في ١٠ نوفمبر سنة ١٤٨٣م من أسرة كاثوليكية محافظة . كان أبوه عاملاً في منجم للفحم ، وقد ذاق مارتن طعم الحرمان. إذ يقول : كان والداي فقيرين جدًا فكانت والدتي تحمل الأخشاب على ظهرها لإعالتنا، لقد كانت حياتهما قاسية جدًا . وكانت معاملة الأسرة للأبناء تتسم بالقسوة حتى أن أم مارتن ضربته بالسياط بسبب حَبة جوز حتى انفجر الدم من جسده. أما عن والده فيقول: عاقبني أبى عقابًا شديدًا في يومٍ ما لدرجة أنني هربت من أمامه واختفيت ولم أستطع أن أنسى إليه ذلك إلا بعد وقت طويل [٢]. وفي السابعة أخذ مارتن طريقة إلى مدرسة مانسفلد، وفي المدرسة أيضًا عانى من قسوة المعلمين حتى أنه ظل يذكر هذه القسوة طويلًا. ففي عام ١٥٢٤م كتب يصف هذه المرحلة ، فيقول: "كنا نُعَذَّب.. ولم نتعلم شيئًا.. لقد ضُربت خمسة عشر مرة في يوم واحد ". وفي الرابعة عشر من عمره إنتقل إلى مدرسة الآباء الفرنسيسكان في مجدبورج ، ورغم قِصَر هذه الفترة التي قضاها فيها ، إلا أن مارتن تأثر جدًا بجماعة الفرنسيسكان التي تقوم بممارسات شديدة في الزهد والتقشف والإماتات والاتضاع. كانت هذه الجماعة تعيش على الصدقة ، فكان مارتن يجوب الشوارع مع أصدقائه طالبًا الصدقة من الناس.

وتكرر الأمر في مدرسة القديس جورج في مدينة أيزناخ ، حيّن انضم مارتن إلى مجموعة من الشباب الذين يطوفون الشوارع ويرنمون للحصول على الصدقة . ولقد كان لطبيعة حياته هذه أبلغ الأثر على شخصيته ، فنجده يقول: "لا تستهينوا بالصغار المتسولين لأني كنت مثلهم ، نعم كنت فتى مسكينًا مستجديًا وارتقيت إلى ما أنا عليه بقلمي "[٣].

على أية حال ، كانت طفولة لوثر وتعليمه المبكر تسودهما التربية القاسية والمذلة . ورغم كون هذا الأمر مبرراً ثقافياً وتربوياً آنذاك ، الا أن ما قصدنا الاشارة اليه هو التنبيه على أثر ذلك في تشكل صورة (الاب السماوي) المرعبة في نفس لوثر منذ طفولته ، وهي صورة تجتاف نفسياً صورة الاب الارضي ، وهو الأمر الذي اقض مضجعه لاحقاً.

ثانيا - الراهب الشاب الممزق: في سنة ١٥٠١م، دخل لوثر إلى جامعة إرفورت حيث درس الفلسفة والعلوم الأخرى الى جانب دراسته للكتاب المقدس، وعكف على القراءة حتى أن أصدقاؤه لقبوه بمارتن الفيلسوف، وقد أنهى دراسته وحصل على البكالوريوس وكلفته إدارة الجامعة بالتدريس. فبدأ يلقي محاضراته في جامعة ارفورت. وفي الثانية والعشرين من عمره ، وتحديداً في ١٨ يوليو سنة ١٥٠٥م ترك مارتن حياة العالم وموقعه في الجامعة وأختار حياة العزلة والرهبنة في دير القديس أغسطينوس . وبعد أن أمضى فترة الاختبار، وفي ديسمبر سنة ١٥٠٦م أعلن نذره النهائي للرهبنة ودُعي باسم الراهب أغسطينوس، وفي ٤ إبريل سنة ١٥٠٧م سيَم الراهب أغسطينوس قساً في دير مدينة إرفورت[٤]. وقد فسر كثير من الدارسين لحياة لوثر (من غير المستبعد أن مصدر ذلك هو العداء المذهبي) تحوله لدراسة اللاهوت وتفضيله لحياة الرهبنة على الحياة الجامعية ، بشكل مبالغ فيه ، حين عللوه بصورة مباشرة الى حادثة وقعت للوثر قبل إتخاذه لقراره هذا . تلك الحادثة تمثلت كما يروون ، هي وقوع صاعقة بالقرب منه ، نذر على أثر نجاته منها نفسه للرهبنة بقية حياته[٥] !!

دخل لوثر الى الدير ، وكانت قسوة الحياة فيه هي المنهج المتبع ، اذ كان الرهبان يصلون سبع مرات في اليوم، ويستيقظون في الواحدة صباحًا ويتناولون الطعام مرة واحدة في الساعة الثانية بعد الظهر. يقول لوثر عن هذا: " كانت حياتي عبارة عن صوم وسهر وصلاة وعرق، فقد كدت أن أقتل نفسي بالسهر وبالدراسة وبالصلاة وبالأعمال الكثيرة الأخرى". وفي موضع أخر يقول : "عندما قمت بخدمة أول قداس لي شعرت أني على حافة الموت "[٦]. وعلق على هذا القس البروتستنتي حنا جرجس الخضري قائلًا: " لقد اعتقد البعض أن الخطية هي السبب الأول والدائم الذي كان يثير الخوف والرعب والاضطراب في نفسية لوثر، ومما لاشك فيه أن الخطية كانت سببًا من أسباب اضطراب لوثر، على أنها لم تكن السبب الأول والأساسي.. لأن السبب الأول والأساسي في اضطراب وخوف لوثر كان مفهومه الخاطئ عن شخص الله... فقد تصور الله قاضيًا مرعبًا مخيفًا، كما تصور يسوع المسيح ديانًا مهيبًا ولم يحاول أن يرى يسوع المسيح مصلوبًا على الصليب بدافع الحب.. لكنه كان يرى دائمًا يسوع المسيح الجالس على العرش ليدين الأحياء والأموات، فهو الذي يأمر أن يُلقى الأشرار في العذاب الأبدي... فحسب مفهومه هذا يكون يسوع جاء لكي يهلك لا لكي يخلص الهالكين[٧]". ولقد أسند هذا الباحث رأيه بنصوص للوثر يصف فيها حالته النفسية قائلًا: "لقد رأى الآخرون في حياتي مظهرًا عظيمًا

للقداسة على أنها لم تكن واضحة في عيني فقد كنت محطمًا وحزينًا ... لا بأس بحالتي الجسمية ولكن نفسي تتعذب.. إن نوبات اليأس تجتاحني، وعواصف القنوط قد انهالت عليّ"[٨].

وفقاً لذلك، فسر خصوم لوثر العقائديون حالته هذه، على أنها إضطراب روحي شيطاني . فكم من الليالي قضى وهو راكع على البلاط يصلي للقديسين لكنه ما أفاد شيئًا رغم أنه أصاب جسمه الهزال وعقله الشطط فكان يرى أرواحًا وشياطين تحيط به. لقد كان يسعى للحصول على سلام الله بمجهوداته وبره ومع ذلك لم يحصد إلا الفشل . مما دعا المحلل النفسي اريك اريكسون في كتابه (الشاب لوثر)، للاعتقاد بأن لوثر مصاب بمرض عقلي، محتجاً بحالات القلق والخوف التي كانت مرافقة للراهب الاوغسطينيَ[٩].

وإننا نرى أن تقييم حالة لوثر هذه يجب أن يتصف بروح الموضوعية ، لا إطلاق الاتهامات والاحكام دون ضابط . فصحيح أن الدير وحياة الرهبنة لم تحل قلق لوثر الوجودي ، ولا منحته أجوبة لحقيقة الايمان في خبايا روحه ، ومع أنه لم يجد ليأسه من نفسه حين هجر الدنيا ودخل الدير من عزاء . الا أن ذلك لا يعني أبتسار كل قلقه الروحي هذا برده الى أرواح وشياطين تحيط به !! فهو تأويل يتقاطع تماماً مع العلم المعاصر. ومن جانب أخر ، لو كان الزعم بتهمة الخلل العقلي واقعياً ، لما تمكن لوثر من أكمال دراسته حتى نال درجة الدكتوراه في اللاهوت، ولا إستطاع إنجاز مؤلفاته الضخمة التي تلت ذلك .

وسيرة لوثر العلمية تشهد على براعة عقله ، لا مرضه . فالى جانب دراسته اللاهوت والفلسفة ، فقد درّس لعامٍ كامل في جامعة فيتنبرج عام ١٥٠٨-١٥٠٩م كتاب أرسطو (علم الأخلاق) الى جانب الإنجيل ، قبل أن يعود إلى الدير الأوغسطيني في إيرفورت . وفي أواخر عام ١٥١١ نُقِل لوثر إلى كنيسة فيتنبرج، ومُنِح هناك درجة الدكتوراه في علوم اللاهوت عام ١٥١٢م. ثم عُيّن في العام التالي أستاذاً لعلم اللاهوت في جامعة فيتنبرج الجديدة ، حيث أقام هناك لما تبقى من حياته كراهب في البداية ثم كزوج وأب، وحتى وفاته عام ١٥٤٦م[١٠].

إن هؤلاء لم يتسعوا في رؤيتهم للوثر الراهب القلق . إنه أقرب الى كيركجورد في ازمته الوجودية وتأكيداته على الفزع كتجربة وجودية لتحقيق الكينونة عبر الايمان المسيحي باهمية التعالي والمفارقة والتي لا تنتهي الا بفعل الايمان في المرحلة الدينية [١١]. وإن مصدر القلق الروحي الذي عاشه لوثر يعود الى طبيعة الدين المسيحي ذاته ، أكثر مما يعود الى شخصية لوثر. اذ أن ((الدين المسيحي يبدأ من الانفصام المطلق ، ويبدأ من الألم، وذلك من خلال كونه يمزق وحدة الروح الطبيعية فيدخل الاضطراب على السلام الطبيعي . فالإنسان يبدو في الدين المسيحي شريراً (بالفطرة) من الأصل وهو في منظوره كائن سلبي إزاء ذاته في أعمق أعماقه[١٢])). واذا ما استعرنا لغة الفلسفة، سنجد أن المثل الافلاطونية أخذت تؤثر على فلسفة لاهوت الخلاص عند لوثر، إذ إن ((المسيح والروح القدس يحييان اعمال الايمان والبر، مثلما الفكرة الافلاطونية ، بديناميكيتها السببية، تُحيي الفضائل عند الانسان الذي يستمد منها الفضائل.الحياة المسيحية للبعض والحياة الفلسفية للبعض الاخر ممكن تفسيرهما تماماً بديناميكية السبب الصاعد ، الى درجة ان تدّخل الاسباب المتماثلة الكامنة في الانسان نفسه ، يصبح بدون فائدة ... فالالحاح على وجود مباشر وشخصي للقوى الصاعدة الالهية

في حياة المؤمن ، التي تعبر عنه هذه الافلاطونية ، كان من شأنه من ان يضاعف متطلبات الكمال الروحي التي كانت تعذب لوثر الشاب وتجعل ازماته الدينية تزداد حدة[١٣]) . وبالضد من ذلك، لم يجد أعداء لوثر العقائديون من وصف لضميره الروحي المعذب ، غير إتهامه بالهلوسات والقلق المرضي واستيلاء لشيطان عليه ، وكأن الشيطان لابد ان يُلازّم كل مفكر يرمي الى اصلاح ما فسد ، بدئاً من جنّي سقراط ومروراً بشيطان ديكارت الذي ما أنفك من مطاردته وتغذية شكه . حتى أن الشيطان كان حليفا لجملة من الانبياء والرسل والمصلحين بإعتقاد مكذبيهم وخصومهم!!

المبحث الثاني – لاهوت الخلاص

يروي كاتبوا سيرة لوثر ، إنه قام بزيارة رسمية لروما في خريف ١٥١٠م واقام هناك شهراً كاملاً . روما . هي المدينة التي يُقيم فيها البابا نفسه ، وكيل المسيح على الأرض وخليفة الرسول بطرس. المدينة التي استشهد فيها بطرس وبولس. روما التي شاهدت صراع ونضال المسيحيين الأولين ، الذين استطاعوا ان يحصلوا على خلاص أرواحهم من العذاب الأبدي بصبرهم وعذابهم وآلامهم وتضحياتهم حتى الموت. روما التي امتلأت بالكنائس وبذخائر القديسين وعن طريق زيارة بعض هذه الكنائس وبعض ذخائر القديسين يستطيع الإنسان التائب ان يحصل على غفرانات كثيرة ولسنين عديدة[١٤].

إن زيارته هذه ، كانت قد شكلت صدمة عاطفية له ، وهي قد فتحت عيني لوثر فيما بعد، وبعد عدة سنوات على حقيقة عظيمة. وإسهمت في تحوله الفكري ، وبلا رجعة ، لما نذر نفسه له من إيمان مسيحي على الطريقة الكاثوليكية. فبعد أن كان قد عزم ان يعترف اعترافا شاملا كاملا لكي يحصل على اكبر عدد من النعم التي وعد بها الله عن طريق ذخائر القديسين الموجودة في المدينة. الا أن ما كان ينتظره هو حالة الرهبان الذين نزل عليهم ضيفا وحالة الكنائس والاكليريوس عامة. كان بعضهم يعيش عيشة البذخ والرفاهية، كأمراء وحكام لا معلمين ومبشرين وخدام . وهو الامر الذي تأثر به لوثر تأثراً شديداً. وقد وصلت بابوية (ليو العاشر ١٥١٣-١٥٢١) ، بفعل التعالي بالاسراف والبذخ ، الى أدنى درك خُلقياً وروحياً ، فهي بابوية دنيوية تهتم أساساً بالسياسات الإيطالية . وكانت مركزاً لبلاط غني ، عالمي ، فاسد وعاجز عن تقديم قيادة روحية فعالة . لقد كانت الكنيسة تعيش لأجل المال. ويروى ان مواطن إسباني قال: "أننا نادراً ما نحصل شيء من خدام المسيح إلا بالمال ، في العماد بالمال ، في الزواج بالمال، الاعتراف بالمال، لا يدقون الاجراس بدون المال ، لا مراسم في الكنيسة للدفن بدون المال" . لقد كان هناك محّصلون للبابا يسافرون الى الارياف للمطالبة بعشر ما يجنيه الفلاحون ، وكانت للكنيسة ضرائب تفرض سنوياً على الدول[١٥].

ويرى عدد غير قليل من الباحثين في سيرة لوثر ، انه أكتشف الفكرة المركزية التي دفعت نحو إنقلابته العقائدية لاحقاً، هنا في روما. هذه الفكرة هي عقيدته في (البر بالإيمان)، وقد عزّوها الى رواية أشبه بالقصص الاسطورية . تزعم أن لوثر كان امام كنيسة روما، وفيها سُلّم مكون من ثمان وعشرين درجة ، يقال ان المسيح صعد عليه للمثول امام بيلاطس عند محاكمته. وكان المعروف ان من يصعد هذا السلم على ركبتيه مصلياً على كل درجة الصلاة الربانية يحصل على غفران خطايا للشخص الذي يهمه في (المطهّر) - أي الحياة بعد الموت

وقبل القيامة - . وقد أرد لوثر أن يخَلِص روح جدّه من المطهر وصعد سلم بيلاطس، وكان يتلو على كل درجة الصلاة الربانية، لكن عند وصوله إلى النهاية تساءل في نفسه: "من يعرف إذا كان هذا الأمر حقيقة أم لا". فيما يقول أخر ان لوثر سمع وهو يصعد هذا السلم صوتا يقول له: "اما البار فبالإيمان يحيا" فإنسحب من بين الزاحفين[١٦]. وهذا أمر غير مؤكد ، فمن غير المعقول ان لوثر إكتشف عقيدة "البرّ بالإيمان" بشكل فجائي هكذا . فهي لم تنضج لديه الا بعد عدة سنوات من زيارته لروما ، حيث ان موضوع التبرير بالإيمان لم يظهر في تعاليمه قبل سنة ١٥١٣. ومن المحتمل ان يكون لوثر قد توصل إليها ، حيّن كان يلقي محاضراته عن سفر المزامير (١٥١٣-١٥١٥). فالمتخصصون في الدراسات اللوثرية ربطوا بين طبيعة موضوعات هذا السفر - التي كانت تتكلم عن بر الله ، أو عن طلب بر الله ، وقداسة الله ، أو عن رحمة الله ومحبته - وما جاء به لوثر. فربما رجع لوثر أثناء دراسته لرسالة بولس الرسول إلى رومية، التي كانت بعض عباراتها بالنسبة له مثل باب مغلق وسفر مختوم: "لأن فيه معلن بر الله بإيمان لإيمان كما هو مكتوب اما البار فبالإيمان يحيا". كما يذهب الى ذلك القس حنا جرجس الخضري [١٧]. ويمكن أن نُضيف على ما ذكره الخضري ، عاملاً أخر هو مشاهدات لوثر في روما التي بينت الطابع الاستغلالي والربحي لحياة الاكرليوس على حساب عقائد المؤمنين المسيحيين ، فكان من شأن إيجاد هذه العقيدة أن يكشف الغطاء عن أسس الاستغلال الديني ، وبوساطة إعادة تأويل مفهوم الإيمان ذاته .

إن أساتذة لوثر الكاثوليك علموا بان " بر الله " هو عطية من الله ، ولكن هذه العطية تمنح للذين يتعاونون مع النعمة، أي انه يوجد تعاون بين الله المانح لهذه النعمة وبين الإنسان الذي يتقبل هذه النعمة ، ولكي يحصل الإنسان على الخلاص يجب عليه ان يعمل أعمالا صالحة يستطيع بها وعن طريقها ان يحصل على بر الله. ولكن ماذا لو كانت تلك الاعمال الصالحة تُشترى بالمال وتُباع بصكوك ؟ الا يغدو الإيمان قريناً بالقرابين التي تُقدم في الديانات الوثنية ؟

وجد لوثر لاهوته الخلاصي بطريقة مضادة .أدرك أخيرًا بعد محاولات عديدة ما الذي عناه الرسول بولس عندما كتب إلى أهل رومية . أن برَ الله أو عدلَه يتجلَّى في الكتاب المقدس وليس في الناموس. وبما أن الآية السابقة على هذه الآية عرفت البشارة ـــ التي تعني حرفيًا الخبر السار ـــ بأنه قدرة الرب التي خلصت المؤمنين، فلم يستطع لوثر أن يتفهَّم كيف يكون عدل الرب خبرًا سيئًا؛ بمعنى كيف يكون معيار البر، الذي حاول تحقيقه دون طائل، مخيفًا. فلم تَكُن المشكلة عقائديةً وحسب بالنسبة للوثر، بل كانت شخصيةً أيضًا، وبَدَا حلُّها له وكأنه ميلاد جديد، فهو يقول: " بدأتُ أرى أن بر الرب يعني أن الأبرار يحيَوْن بهبةٍ مِنْه، وهي البر السلبي (أما البار فبالإيمان يحيا) : شعرتُ بأنني وُلِدت من جديد، وبأنني دخلت الجنة من أوسع أبوابها" [١٨]". والإيمان المقصود هنا هو الثقة في وعود الرب التي تحقَّقتْ بيسوع المسيح. ونظرًا لأنَّ الإيمان حلَّ محلَّ الصوم والحج والصلوات إلى القديسين والقداسات الخاصة، وغيرها من الطرق التي بر بها مسيحيُّو العصور الوسطى الرب وتقربوا إليه، لم تنتقِصْ رؤية لوثر من أهمية النظام اللاهوتي السائد وحسب، بل من أغلب مظاهر التقوى التي ميَّزَت المسيحية في العصور الوسطى[١٩]. وفقاً لذلك، تخلص لوثر مما كان في تدينه

الشخصي من تصارع بين ايمان باله غاضب لا يرحم واله رحيم طيب. وهذا الموقف لا يمكن أن يكون مرافعة للدفاع عن الذات فقط، بل أن هجر النزعة النُسكية في الدير ، بشر ايضا برفض الكنيسة التي توجد تعليلات لعذاب للضمائر المصاحب لتلك النزعة[٢٠] .

لقد مثلت عقيدة لوثر الجديدة (البر بالإيمان) إحتجاجاً، بل إنقلاباً على كل التقاليد الكنسية التي إمتدت لعصور طويلة ، وضربت في الصميم الوساطة الروحية لرجال الدين، تلك الوساطة التي تصر على إنها معراج بين الإنسان والله ، واستعاض هو عنها بضمير الإنسان الفرد. لقد استعاض بالحياة العاطفية للايمان. عن جميع القوانين والمراسيم الكنسية، وجميع اللاهوت السكولائي[٢١]. ووجد إن الكتاب المقدس هو وحده السلطة المعصومة التي نحتاجها ، في حين إن البابا ، الأساقفة ، المجالس ، وكل التقاليد تعيق فهم النص المقدس . وكما يرى لوثر في عقيدته ، كهنوت كل المؤمنين universal priesthood ، والتفسير الحرّ للنصوص المقدسة، ان لا حاجة الى وسيط خاص بين الله والإنسان : مسيحي مستنير، وبوحي من الله يمكن له أن يكون على حق في مواجهة الاكرليوس ، وبالتالي يمكن لكل إنسان أن يبشر بكلمة الله [٢٢].

وهكذا، توصل لوثر الى أن الاعمال الخيرة ليست هي ما تصنع الانسان الخير.بل ان الانسان الخير هو الذي يصنع الاعمال الخيرة ، فهو يردد انني اخشى اعمالي الخيرة اكثر مما اخشى اعمالي الشريرة، لماذا؟ لان الاعمال الخيرة يمكن ان تعرضنا لخطر الابقاء في انفسنا على نوع من الاطمئنان الكاذب، وعلى نوع من السلام الخادع، في حين ان الخلاص لايمكن ان ينال الا عن طريق كفاح يدوم في كل لحظة .ان الاغراء ،لا بل الخطيئة ، لخير من هذا النوع من الطمأنينة [٢٣] !

ان الخلاص متعلق بجوهر الانسان ورؤية الله لنفس المؤمن من الباطن لا الظاهر ، فالطقوس والاعمال المرئية لا تحقق اي نعمة للفوز بالعفو الالهي. فالإيمان له الاولوية في فكر لوثر. وبدلاً من مقولة القديس بولس "يحيا البار بالايمان" اصبحت " يحيا بالإيمان وحده" ، فهناك الطبيعة البشرية يقابلها الطبيعة الالهية. والعدالة الالهية لا تريد من الانسان ان يكون منافقا ومحتالا ويتصرف بروح مختلفة عن طبعه الحقيقي،لان هذا الامر سيكون علامة على قتل وقمع الروح الطبيعية للانسان نفسه ، والطمأنينة والتدين نور يقذفه الرب في نفس الانسان المجبولة بطبعه[٢٤].

نتيجة لذلك، كل الأعمال التي يقوم بها الإنسان - ليست فقط الأعمال الخارجية ، المتعلقة بالطقوس والأعمال الدينية، بل أيضاً الإعمال الاخلاقية- التي يجدها جديرة بأن يتصالح بفضلها مع الله وان ينال النعمة والنعيم الإلهيين ، هي عبث وباطل ((المسبحة، الطعام الملائم للصوم، الحج، القدّاس، بيع صكوك الغفران، ثواب الراهب ، حجاب الراهبة ... اذا تمكّنا من الفداء من الأثم بالأعمال ومن ثم ننال النعمة ، فأن دم المسيح عندئذ سيكون قد أُهرق دون حاجة أو بلا سبب[٢٥])).

ويورد لنا الفيلسوف فيورباخ (في كتابه " جوهر الإيمان بحسب مارتن لوثر") ، نصوصاً للوثر تفسر ذلك: ((يقولون إنهم يريدون أن يكفروا عن خطيئتهم ويصبحوا مباركين من خلال حياة صارمة ، إنهم يضفون

على الأعمال والزعماء الروحيين مما يليق بالمسيح والإيمان . ما الذي يكونه هذا غير إنكار للمسيح ... إلى أين يقود الباباويون papists هذا الإيمان؟ فعليّاً إلى أنفسهم. لأنهم يعلّمون البشر أن يثقوا بمزاياهم هم[٢٦])).

ان المسيحية بحسب لوثر، لا تنحصر غايتها على الاطلاق في ايجاد تطابق بين الارادة الانسانية والنعمة الإلهية ، فهي لاتسعى الى الحصول على الطاعة بالإنتزاع ، وعبر الإماتة الجسدية .ان حكمة وجودها تكمن في مجرد كشفها عن العصيان ، وفي الايحاء الى الانسان بفساده الذي لا تجدي فيه المعالجة ، وفي الانتهاء به الى القنوط من نفسه، كي يعترف ان خلاصه لا يمكن له ان يتم على مستوى ارادته الخاصة ، وانما على مستوى النعمة الربانية على وجه الخصوص. فهو عاجز عن ان يتبرأ من فساده ، مالم يصبح انسانا آخر غير الانسان الذي اراد المعصية واحبها. في هذا يكمن سحر النزعة الايمانية، فهي ليست مجرد عون الهي متناسب مع الاستحقاقات، بل هبة مجانية دائمة ، بل انه بالاحرى بها ان تكون اقامة للتحكم الالهي في مكان الارادة الانسانية، وتلك عملية يشاهدها الانسان وهو في حال من السلبية المطلقة، فالانسان هو العدم والله هو كل شئ. وامام هذه الهوة ، لا يتلاشى كل استحقاق شخصي فقط ، بل يتلاشى ايضا كل وسيط، وكل سلطة [٢٧].

ان المؤمن اللوثري يجد يقينه الداخلي خاصة في كلام الله وفي ندائه الشخصي ، لا في منظومة منطقية من الحقائق ، ولا في سلطة خارجية تمثلها الكنيسة[٢٨]. اذ ، لا الاعمال، ولا التقوى الخارجية، ولا الاحتفالات المقدسة ، يمكنها ان تجعل من روح ما روحا تقية سليمة. فالروح تجد حريتها واستقامتها في كلمة الرب المقدسة لا غير[٢٩]. وهكذا، قادت عقيدة لوثر الجديدة (بعد عدة سنوات من إكتشافه لها، وبعد تنامي مجموعة من العوامل السياسية والاجتماعية) الى أن يطلق إحتجاجته الخمسة والتسعين التي علقها عام ١٥١٧م على أبواب كنيسته في مدينة فتنبرغ ، وغير بعيد عن جامعتها التي كان استاذاً فيها . ليتلقفها الشعب الإلماني بلهفة ، تمهيداً لسقوط سلطة البابا الكهنوتية. وبما انه ليس من السهل هنا ذكر وتحليل كل هذه الاحتجاجات الخمس . لذلك سنكتفي بتلخيص أحد الباحثين المختصين لها [٣٠]:

الإحتجاج الأول: (عندما قال ربنا وسيدنا يسوع المسيح "توبوا" أراد بذلك ان تكون حياة المؤمن كلها توبة مستمرة وقد قال لوثر في مكان آخر: (المؤمن هو البار الخاطئ)

الإحتجاج الخامس: (لا يستطيع البابا- حتى لو أراد- ان ينقذ الإنسان من عقوبة قانون ، الا ما سنه هو نفسه بمحض إرادته).

الإحتجاج السادس: (ليس في سلطان البابا ان يزيح أو يلاشي عن الإنسان عقاب خطيئته أو يغفر له، وإنما يعلن للخاطئ ان خطاياه قد غفرت).

الإحتجاج الحادي والعشرون: (ضل الذين يقولون بأنه متى رنت النقود في صندوق الجمع تخلص النفس من المطهر منطلقة إلى السماء).

الإحتجاج الثاني والثلاثون: (ضل الذين يتوهمون بأنهم في أمان بسبب الغفران، فانهم مع تعاليمهم هالكون).

الإحتجاج السادس والثلاثون: (ان المسيحي الحقيقي، الذي يترك خطاياه بقلب منسحق نادم، تغفر خطاياه ولا حاجة له إلى صكوك غفران).

الإحتجاج الثالث والأربعون: (على المسيحي ان يفهم حقيقة ان الذي يحسن إلى مسكين أو يقرض محتاجا يقوم بعمل أفضل من شراء صكوك الغفران).

ونود الإشارة هنا ، الى أن أحتجاجات لوثر هذه وإطروحاته ، لم تكن هي الاولى في تاريخ المسيحية ، إذ كان قد سبق لوثر أخرون . ونُصب مدينة فورمس (المدينة التي شهدت محاكمة لوثر) يصور أسلافه الاربعة (الولدينيسيون ، ويكليف ، جون هس ، وسافونارولا) . فقد اشترك هؤلاء مع لوثر في الكثير من السمات؛ فكان الإنجيل هو أصل دعواهم لإصلاح الحياة الدينية، وقد أيَّدوا ترجمة أجزاء منه إلى اللغة المحلية (كما فعل لوثر) ؛ ليتسنى لعامة الناس قراءة الكتاب المقدس بأنفسهم، وشجَّعوا أتباعهم على أن يجعلوا تعاليم المسيح والمسيحيين الأوائل في العهد الجديد مَثَلَهم الأعلى، وكان الوعظ الديني أداة قوية لنشر أفكارهم، وواصلوه حتى بعد أن أُثنُوا عنه وحُرِموا كنسيًا .علاوة على ذلك، فقد انتقدوا سلوك رجال الدين بالكنيسة الرومانية وتحدوا السلطات البابوية[٣١]. فما الذي ميَّز لوثر إذن عن الإصلاحيين الآخَرين الذين يحمل نصب فورمس أسماءهم؟ كيف نجح هو ، وفشل الآخرون ؟

المبحث الثالث- جدل اللاهوت والسياسة

يعتقد البعض ان المصلح الألماني قد قام بثورة عنيفة وحرب شعواء ضد الكنيسة الكاثوليكية بعد ان اكتشف حقيقة التبرير بالإيمان ، لكن حقيقة الامر هي أن ما أسهم أكثر في الدفع باتجاه إعلانه لإحتجاجاته وثورته هذه ، هي مسألة صكوك الغفران . التي رغم منطلقاتها الدينية اللاهوتية ، الا أن القراءة المعمقة لتجلياتها تكشف عن الكثير من الدهاء السياسي الذي أخفى تحت جلبابها حرباً إقتصادية باردة ودوافع سياسية كامنة . كيف ؟ ليكن مدخلنا للاجابة عن هذا السؤال ، معرفة ما هي صكوك الغفران ؟

((ان فكرة صكوك الغفران لم تكن جديدة في ذلك الوقت، بل يرجع تاريخها إلى زمن الحروب الصليبية، فقد منح بعض البابوات هذه الامتيازات إلى الذين كانوا يذهبون إلى الحرب مخاطرين بحياتهم. وبعد ذلك كانت تمنح أيضا للذين كانوا يذهبون لزيارة الأماكن المقدسة. كما انها منحت أيضا للذين كانوا يساهمون في أعمال "البر" والإحسان كبناء الكنائس والمستشفيات. وكان الرأي السائد ان بعض القديسين قاموا بأعمال صالحة كافية لخلاصهم فقط ، بينما قام البعض الاخر باعمال حسنة كثيرة زادت عن حاجتهم: مثل السيد المسيح... كذلك قامت السيدة العذراء مريم والرسل وعدد كبير من الأنبياء والقديسين في تاريخ الكنيسة على مر العصور باعمال صالحة كثيرة جدا زادت عما كانوا في حاجة إليه لخلاصهم. وهذا ما كانت تسميه الكنيسة بحسنات القديسين الزائدة. وهذه الحسنات الزائدة مودعة في بنك الكنيسة وهي ملك لها وللكنيسة الحق في التصرف فيها كما تشاء ومتى تشاء. فمن حق الكنيسة ان توزع هذه الحسنات المودعة تحت تصرفها على النفوس التي لم تستطع ان تعمل أعمالاً حسنة كافية لخلاصها أثناء حياتها على الأرض... وبما ان الكنيسة كانت المسؤولة عن الأعمال الحسنة الزائدة. والتي تدعى كنز الكنيسة. لذلك كان يمكنها ان تبيع أيضا بعضاً من هذه الأعمال الحسنة

لمن هم في حاجة إليها ولم يستطيعوا في حياتهم التكفير عن ذنوبهم وخطاياهم ... حتى أصبحت صكوك الغفران تجارة رابحة شائعة لجأت إليها الكنيسة في ظروف كثيرة كلما احتاجت إلى المال، بل تطورت الفكرة حتى ان بعض الدول والأمراء استعملوها لابتزاز المال [٣٢]))

لذلك لجأ البابا ليون العاشر(المتمسك بحياة البذخ والشغوف بالفن والعمارة وبناء الكنائس) الى رئيس أساقفة إمارة ماينز (Mayence) الألمانية ومنتخب مقاطعتها ، لإستغلال هذه الوسيلة لجمع المال الذي كانا في حاجة إليه. بعد أن أصدر قراراً في سنة ١٥١٦م ببيع صكوك غفران كاملة. يمنح بموجبه الاخير نصف الاموال ويذهب النصف الأخر للبابا في إيطاليا . وقد كان الناس من مقاطعة ساكسونيا يضطرون للسفر الى ماينز لشراء صكوك الغفران ، ويبدو أن **ذخائر القديسين** التي جمعها الملك فريدرك الحكيم ملك ساكسونيا، في الرحلة التي قام بها إلى أورشليم سنة ١٤٩٣م (وصل سنة ١٥١٨م عدد ذخائر القديسين المعروضة في كاتدرائية فيتمبرج الى ١٧٤٤٣ قطعة) ، لم تكن تلقى الرواج الكافي في مقابل صكوك الغفران . وهو الأمر الذي يؤكد ما أشرنا اليه فيما تقدم من أن لاهوت لوثر ، وفي ظل هذه المنافسة التجارية ، لم يكن مستقلاً تماماً عن عوامل إقتصادية ، أنتجت بدورها عوامل سياسية ايضا[٣٣].

هذه العوامل السياسية ، بادية للعيان من خلال مواقف الملك فريدريك الداعمة للوثر وحركته الدينية ، بعد نشر الأخير لإحتجاجاته وعلى إثرها . بل أن ، من غير المستبعد أن يكون كل نتاج لوثر اللاهوتي في المرحلة الممتدة من سنة ١٥١٧ م وحتى سنة ١٥٢٢م قد كُتب بتوجيه من الملك نفسه ، فهو يحمل مضامين سياسية واضحة ، أقل ما يقال عنها إنها مثلت غطاء عقائدياً لثورة سياسية وأجتماعية ، حركها الشعور القومي الإلماني تجاه هيمنة الامبراطورية الرومانية السياسية المعززة بسلطة البابا الروحية .

لقد أخذ الإصلاح الديني بعداً سياسياً معززاً بشعور الالمان بانهم مستغلون من قبل البابا وامبراطورهم الروماني ، فكان طبيعياً أن يسعى الامراء والنبلاء الالمان الى ان يتخلصوا من الاستغلال والتبعية . ومن هنا راحت الروح القومية او اللاهوت السياسي يدب في رسائل لوثر وخطابه التحريضي ، اذ يقول : " سوف ابرهن ان في المانيا رجالا يفهمون التحايل الروماني. فها قد مضى زمن مديد واهل روما يسخرون منا ويعاملوننا كأغبياء" [٣٤].

لقد استجاب ملك ساكسونيا لنداء لوثر بعد أن كتب له وبوساطة صديقه وزميل دراسته السابق سبالاتين(Spalatin) وسكرتير البلاط الملكي ، للتدخل في الأمر . حيث رفض ان يُحاكم لوثر في محكمة لا تعرف قانونا الا الكتب المقدسة ، وطالب بان يحاكم محاكمة قانونية في محكمة ألمانية. رغم كل محاولات البابا لثنيه عن ذلك بوسائل شتى (ومنها الوعد بمنحه وردة الذهب، وهو أسمى نيشان تمنحه البابوية) فيما اذا سلم له لوثر لكي يحاكم في روما [٣٥]. وجاء ذلك ، بعد أن أرسل رئيس أساقفة ألمانيا إحتجاجات لوثر إلى روما ، وبعد دراستها وجدوا بأنها تحتوي على ١١٦ خطأً عقائدياً وبناء عليه فأن لوثر هرطوق يجب محاكمته. وفي شباط ١٥١٨م كلف البابا ليون رئيس الأساقفة بأن يسحب لوثر احتجاجاته وان يعلن طاعته وخضوعه، وإلا فلابد من محاكمته في روما . وحيّن رفض لوثر ذلك ، أصدرت الأخيرة في تموز أمرها إلى لوثر لكي يحضر إلى

المحاكمة . ووعد الإمبراطور الروماني (العجوز فاكسيمليان) بمطاردته كهرطوقي وإتخاذ الإجراءات اللازمة لدى السلطات الألمانية لكي تسلمه للمحاكمة في روما. فلم تحصل روما من فريدريك سوى المماطلة . ففي سبيل ثني لوثر عن أراءه ، كان الجدل والجدل المضاد بين لوثر واللاهوتيين الكاثوليك، الذي إستمر أكثر من سنتين، وشهدت عليه أكثر من مدينة ، عاملاً من عوامل تعزيز العقيدة اللوثرية ومضامينها السياسية المبطنة وإنتشارها أكثر بين الألمان. وقد ظهر ذلك جلياً في تمرد لوثر وأنصاره بحرق مرسوم الحرمان البابوي الصادر بحقه في حزيران ١٥٢٠ م . وكانت هذه المرحلة هي التي شهدت تحول لوثر من اللاهوت الى اللاهوت السياسي ، تمثل ذلك بكتابة ثلاثة كتيبات تدعى (كتابات المصلح العظمى) تداخل فيها الديني مع القومي والسياسي [٣٦].

وحتى بعد أن رضخ امبراطور روما الجديد (شارل الخامس) لرغبة (فريدريك الحكيم) الى أن تتم محاكمة لوثر في محكمة المانية وامام الدايت(مجلس الامة) (جرى ذلك في مدينة فورمس في نيسان ١٥٢١م، وفي حضور سياسي عظيم ممثلاً بالامبراطور نفسه ، وستة من الملوك المنتخبين وأربعة وعشرين دوق وجمهور عريض) . كانت غاية فريدريك ان يبرهن بذلك على استقلاله عن سلطة روما وسيطرتها. وهو الامر الذي عززه انه منع تنفيذ عقوبة الحكم بهرطقة لوثر ، بعد أن رتب حيلة لاخفائه في قلعة حصينة حضي فيها برعايته لما يقرب العام [٣٧]. وقد تمترس لوثر (إبان سنوات محنته والحكم بهرطقته) بالقومية الألمانية ، ربما أكثر من المسيح . وتحول بشكل مفاجيء من راهب الى داعية سياسي ! فجاءت كتاباته في هذه المرحلة بعناوين ومضامين شبيه بتلك يرددها الزعماء الثوريون . فكان الكتيب الاول عنوانه (الى الامة المسيحية النبيلة) ، والثاني (الأسر البابلي للكنيسة) ، أما الثالث ، فهو بعنوان (حرية المسيحي).

إن هذا يبرهن ما نوه عليه المفكر كارل شميدت في كتابه (اللاهوت السياسي) من ((ان ثمة تماثلات عجيبة بين المفاهيم الحقوقية السياسية من جهة والمفاهيم اللاهوتية من جهة اخرى: "القول بحالة الاستثناء (الطبيعي والسياسي) والايمان بالمعجزة، ارادة الشعب وارادة الله، الامير المدبر والاله المدبر... ومن جهة ثانية ، لا تظل الجماعة الدينية جماعة دينية صرفة وانما قد تستحيل، اذ تستعدي على غيرها او يستعدى عليها، الى جماعة سياسية . فبين الدين والسياسة خيط رفيع [٣٨])). ولم يكن ليُكتب لحركة الاصلاح الديني النجاح لان ذلك الاوغسطيني الشاب شعر شعورا عميقا بالعار والفضيحة حيال ذلك التبشير الذي يعكس عقيدة البابوية واحبارها، ولم يكن لاستهجانه وتنديده بخداع الكنيسة الكاثوليكية. بل أن ما جعلها تقف على قدميها ومنحها الروح ، هو خطابات لوثر التي استنهضت الروح القومية للامة الالمانية - فضلاً عن الدعم السياسي الذي حضي به - ، بعد أن ذكّرها بوطأة التسلط البابوي المحتكر لمعنى النص المقدس والذي يجعل روما الاصل والمانيا الهامش سياسياً واقتصادياً . يشهد على ذلك كُتيبه (خطاب إلى الأمة المسيحية الألمانية النبيلة ١٥٢٠م)، الذي يبدئه بعبارة: (مضى وقت الصمت وجاء وقت الكلام) . وكان يريد ان يلفت نظر اصدقاءه وخصومه إلى ان وقت الصمت والطاعة العمياء والخضوع لا فائدة منه، وقد دعا لوثر في هذا الكتيب الامة الالمانية كلها، وعلى راسها الملوك والامراء الى القيام بواجباتهم ، ليس تجاه المدينة التي انتخبوا لها فحسب ، بل ايضا للقيام بواجباتهم الروحية التي تتطلب اصلاحا جذريا عجز الاكليريوس عن القيام له. وقد استعمل لوثر في هذا الكتاب

لهجة وطنية مناشداً الشعب ان ينفض عن كاهله التدخل الاجنبي في شئون الامة الألمانية، وان يحمل بنفسة المسؤولية في قيادة الامة والكنيسة[٣٩].

يقول لوثر ((فكيف يكون بأمكاننا نحن الالمان ، تحمل السرقة وذلك النهب لخيراتنا على يد البابا.. فلماذا نسمح نحن الالمان ، ان تنكس راياتنا وان ننهب بهذه الصورة ؟ وما تكون السطة البابوية ؟... انها نظام شيطاني ، مشروع صريح للقرصنة ، واستغفال البشر .. وما مادامت تلك السلطة تقود العالم المسيحي الى الدمار جسدياً وروحياً ، فمن واجبنا ان نستنفر كل حماسنا لخوض المعركة على مثل ذللك الشقاء ومثل ذلك التدمير[٤٠])).

إن المساعي السياسية لهذا الكتاب ، جاءت لإجل هدم اسس إحتفاظ روما بالسلطة في المانيا ، وبواسطة زعزعة السلطان الروحي الذي تعتبره الكنيسة فوق السلطان الزمني - أي خضوع الاباطرة والملوك والامراء للسلطة الروحية العليا الا وهي سلطان البابا وسلطة الكنيسة - . فلا يوجد (بحسب المسيحية الجديدة اللوثرية) امام الله اكليريوس ، فان مجيء المسيح غير اوضاع كاهن العهد القديم لأن المسيح هو كاهن العهد الجديد ، وهو الكاهن والذبيحة في نفس الوقت. كما ان لوثر دعى ايضا جميع المؤمنين المسيحيين ان يكونوا كهنة مثله، فليس الكاهن المرّسم وحده الكاهن الحقيقي بل ان الكاهن الحقيقي هو الذي يقبل المسيح يسوع مخلصاً وفادياً. فلا يوجد اذن فرق بين الاكليريوس والشعب ، كلنا ملوك وكهنة الله أبينا. لنا نفس الامتيازات وعلينا نفس الواجبات. وعلى كل مؤمن ان يقوم بالعمل الموكل اليه فالخادم يعمل كخادم والمدبر يعمل كمدبر والحاكم كحاكم. هذا هو الحاجز الكبير الذي فرضته الكنيسة على الشعوب وحاول لوثر هدمه[٤١] . وهو بذلك أراد إنهاء خضوع الأمة الالمانية السياسي والمالي عبر هدم أسس الخضوع للسلطة الدينية الرومانية . وأن ينتهي من كل الوساطات ومن كل الطقوس الكنسية بين الإنسان والله . وهذا ما يجعله ينتمي بجدارة الى الحركة الكبرى الساعية للعلمنة ، على حد وصف الفيلسوف الفرنسي ألان تورين[٤٢]. وعلى الرغم من أن لوثر لم يكن نتاجاً مباشراً لحركة النهضة الأوروبية التي نمت قبيل اندلاع حركته ، ولم يكن رسولاً للعقلانية [٤٣].الا أن فكرته في (كهنوت جميع المؤمنين) التي إستبدل بها التراتبية الكهنوتية للعالم الديني القديم (الكاثوليكي) ، ربما هي التي دفعت دوركهايم أن يعّد البروتستانتية مصدراً لعبادة الفرد الحديثة . كما يشير الى ذلك عالم الأجتماع البريطاني انطوني جدّنز[٤٤].

" قضي الأمر . انقلبت العلاقة بين الإنسان والله الى غير رجعة . ضربت حركة لوثر مبدأ الوساطة في الصميم ، تحت سمات الكنيسة ، المؤسسة المحورية التي كانت تجسده في العالم المسيحي... إعادة النظر في مسألة الوحدة بين السماء والأرض التي أثيرت ، تشكل الخطوة الأولى بأتجاه العصر الحديث...أن فك الارتباط بين المرئي وغير المرئي الذي يعلنه لوثر يتضمن مدى أبعد من إعادة تعريف الإيمان المسيحي . إنه يُدخل في المعركة وضع المؤسسات الوسيطة بشكل عام ، بما فيها ، وعلى رأسها المملكة المقدسة ، التي تحتل منذ زمن مكانة ملتبسة في العالم المسيحي ، بسبب الوساطة بين السيد المسيح وامتداده في الكنيسة . أما العمل الذي كان يُنجز بصمت ... سيصبح علنياً . والايمائية التنافسية مع الكنيسة ، التي كانت تحمل تأكيد استقلالية السياسي ،

وتحجبه في آن ، ستطرح ثمارها... إشارة ثورة السياسي على الديني التي ستزدهر وتتألق بعيداً عن المدن الإيطالية ، في إطار الممالك الكبيرة ، لصالح عواقب تمزق العالم المسيحي [٤٥]" . مع ذلك ، لم يكن مارتن لوثر كمفكر سياسي أو فلسفي أول مَن امتلك أفكارًا عصرية، لكنه كان آخِر مُصلِح ديني شهدته العصور الوسطى؛ لأن الإصلاحات التي أجراها نجحت، بينما عجز الآخَرون عن تغيير الموقف العام داخل أوروبا. فلولا قيام (حركة الإصلاح الديني) التي فاقت شخص لوثر وأتباعه الأوائل، لظل لوثر مجرد ناقد آخَر عاثر الحظ للكنيسة الرومانية في العصور الوسطى، وربما كان سيُعدَم شأن غيره من المصلحين المخلصين الذين خلَّفوا ميراثًا متواضعًا على أفضل تقديرَ[٤٦].

وكما يُصور نصب مدينة فورمس التذكاري (الاصلاحيون الأربعة الكبار أسلاف لوثر) ، يُشير أيضا ، إلى السبب الذي جعل الأوان مناسبًا لذلك عام ١٥١٧ م ، عندما أطلقت أطروحات لوثر الخمس والتسعون— وهو نص لاتيني أعُدَّ للمناظرة الأكاديمية— حركةً دينيةً مدعومةً سياسيًا لا يمكن احتواؤها. وقد حَملت الأركان الأمامية لقاعدة النصب اسمَيْ أبرز زعيمين سياسيين للحركة البروتستانتية الألمانية، وهما : فيليب حاكم هيسي، وفريدريك الثالث الأمير المختار لساكسونيا الملقَّب بالحكيم؛ فدُونَ حماية الأمير فريدريك للوثر وورثته، لما أمكن للوثر أن يُفلت من المرسوم الذي صدر ضده وضد أتباعه في فورمس، ودُونَ النفوذ العسكري والسياسي الذي تمتَّع به فيليب — المناصِر للحركة البروتستانتية من بدايتها — لما أمكن للبروتستانتيين صَد محاولات الإمبراطور شارل الخامس لعرقلة حركة الإصلاح الديني.

المبحث الرابع : مآلات اللاهوت السياسي وانتكاس الاصلاح الديني

كان لوثر متخفياً (برعاية ملكية) في قلعة فارتنبرغ بعد محاكمته في نيسان ١٥٢١م ، ويبدو أنه قد عاد على عجل في شباط ١٥٢٢م الى فيتمبرج ، بعد أن أبلغ الملك بذلك (ومن غير المستبعد إنه هو من طلب منه ذلك) ، اذ يبدو أن مسار حركته الاصلاحية قد بلغ ذروته الاجتماعية والسياسية هناك ، وهو الأمر الذي أغضب السلطة فإستعانت بلوثر للجم جماحه[٤٧].

ما حدث هو أن ظهر عدد كبير من القادة والمعلمين الوعاظ والمبشرين مثل صديق لوثر (كارلستادت Carlstadt) الذي كان يعتبر نفسه الرئيس الروحي لفيتمبرج بغياب لوثر، ومطبق تعاليمه . وقد ذهب بعيداً في عملية التغير الجذري. فقد فكر في إلغاء الأديرة وحل فعلاً جمعية الرهبان الاغسطينية في فيتمبرج في كانون الثاني ١٥٢٢، وشجع الرهبان على الزواج. كما وزع ممتلكات الأديرة لمساعدة الكنائس واستخدامها في المشاريع العامة. كما انه ألغى بعض التقاليد الكاثوليكية السائدة مثل الصور والتماثيل والملابس الكهنوتية. وفي شباط قام بمظاهرة واشترك معه شعب المدينة بالمناداة بالحكم الديمقراطي . ولما عاد لوثر الى فيتمبرج أضحى صديقه القديم خصمه ، واحتج عليه في عظاته . وهو ما أسهم في نفى كارلستادت من ساكسونيا بتهمة إثارة الاضطرابات. فالاخير كان يريد الحلول الجذرية والسريعة ، أما لوثر فكان يتحجج بأن التغيير يجب أن يكون بالكلمة المكتوبة وتربية النفوس[٤٨].

إن اللوثريين المتحمسين أرادو أن يطبقوا واقعياً مبادى لوثر التي أوحت بها نصوصه اللاهوتية ، فأعادوا موضعة الدين ورجال الدين في الواقع اليومي للمجتمع ، فهم يعيشون وسط الشعب ، يتزوجون ، ويُنجبون ، ويمارسون العمل . وهكذا زال الإكليروس المنتظم في جماعات ورهبانيات وأخويات منضبطة وهرمية ، بل كنائس تدير ذاتها بذاتها . وقد أُجيزت وقُبلت من قبل السلطة المحلية ، شريطة أن تستمر في تكريس رفضها القاطع لأتباع كنيسة روما والحبر الأعظم ، وأيضاً شريطة ألا تمس بسوء النظام المجتمعي القائم وهرمياته ، كما فعلت الحركة الثورية المسمّاة " تجديديو العماد anabaptistes " التي رفض أنصارها الظلم الاجتماعي من خلال مراكمة الثروة في بحر من الفقر . فما كان من لوثر يومها إلا المسارعة بإدانتهم بقوة ومحاربتهم [٤٩] . ويبدو أن نزعة لوثر المحافظة هذه ، كانت في حقيقتها اداة للسلطة في وئد تطلعات الشعب الألماني (والتي كانت الظروف آنذاك قد أنضجتها) نحو الحرية والعدالة الاجتماعية ، وانعكاساً لتماهيه معها . وهو ما يتضح من طبيعة نتاج لوثر الفكري الذي إنقلب من (حرية المسيحي) و (الاسر البابلي للكنيسة) الى (السلطة الزمنية ١٥٢٣م) و (عبودية الاختيار ١٥٢٥م) !!

وما أكد أكثر الوجه "المفسد" للوثر "المصلح" . هو موقفه البغيض تجاه أبناء شعبه من الذين استلهموا أفكاره في معالجة مشاكلهم اليومية والعقائدية أثناء (ثورة الفلاحين ١٥٢٤-١٥٢٥م). حيّن قام الفلاحون بحركة ثورية أخذت بالاتساع بعد أن انظم اليها العمال. فأجتمع ثلاثين ألف رجل لا يعترفون بأي قانون الا القانون الإلهي. مطالبين بالمساواة والتحرير من خدمة الأمراء والأغنياء، وحق الصيد والقنص، وإلغاء العشور التي كانت تدفع للكنيسة وللأمراء . واقتحموا القصور والحصون[٥٠] . فما كان موقف لوثر من ذلك ؟

ان كثيرين من الذين قاموا بتحليل هذه الحوادث دهشوا من موقف لوثر إزاء الفلاحين عندما قال للأمراء الذين كانوا يحاربون الفلاحين الجملة التي سجلها له التاريخ (قاتلوا هؤلاء الفلاحين ككلاب مسعورة) !! وستظل الجملة بلا جدال نقطة سوداء في تاريخ هذا الرجل . وان قولاً كهذا يعد عثرة ليس فقط لإنسان القرن العشرين بل حتى لإنسان القرن السادس عشر [٥١].

ان ملهم التغيير قد خذل الفلاحين ، فليس على هؤلاء الا التزام الصمت والطاعة .لان الامر بيد السلطة الزمنية والنبلاء . فالخلاص لا يتحقق الا بيد هولاء . وأخذ يلوم اتباعه لانهم لم يفهموا دعوته. فلاحين وحرفيين ، خداماً ورجال دين وعموم الناس . ان موقفه اخذ يتغير، فبدلاً من عقيدة كانت تدعوا للتحرر ، كان عليها اليوم ان ترتمي في حضن السلطة. .بعد أن اوصى لوثر بعدم الخروج على السلطة المدنية المقدسة ، قائلاً "أن من يعارضون النظام القائم بمباركة الله يجلبون على انفسهم الادانة [٥٢]".

لقد ردَّ لوثر على مطالب الفلاحين في منشور سُمِّي (نصح من أجل السلام) إذ ظل مثار خوفه الأكبر هو احتمال اندلاع ثورة تتمخض عن فوضى أو — على حد تعبيره - "دمار ألمانيا إلى الأبد بالإطاحة بكلمة لله والسلطات المدنية" .من ثَمَّ ألقى ؛ اللوم على كلٍّ من الحكام ورعاياهم، فوبَّخ الأمراء والأساقفة لأن دورهم اقتصر على غش وسرقة الشعب ، لينعموا بحياة البذخ والترف . إلا أن شرورهم وإجحافهم ، لا يبرران فوضى العامة وتمردَهم؛ لأن مسئولية معاقبة الشر وفقًا للكتاب المقدس تقع على جهة الحاكم الشرعية .بالإضافة إلى

ذلك، إن كان الفلاحون مسيحيين مخلصين كما يزعمون ، فعليهم أن يُذعنوا لوصية المسيح بأن يديروا الخد الآخَر . من ثَمَّ خلص لوثر في النهاية إلى إن **" المسيحي لا يذود عن نفسه بالسيوف والبنادق، بل بالصليب والمعاناة "**[٥٣] .

لقد حمى الامير(فردريك الحكيم) لوثر، بل ان الاصلاح اللوثري لم يكتب له النجاح بدون سلطة هذا الامير ، اذ انه كان مساعدا ومناصرا للوثرية (وهذا يذكرنا بالحركة الوهابية وكيف استطاعت ان تنتشر بفضل سلطة احد امراء نجد وكيف اصبحت حركة "اصلاحية" تنشد الدين "الحق" وتكفر الاخر، اليهود والمسيح والشيعة وكل ما لا يتفق مع رؤيتها السلفية المتطرفة) ، فكان لوثر باراً بولي نعمته ، بأن أكد أن السلطة المدنية شرعية وليست ظالمة ، فالشر لا يمكن لاي كان ان يقضي عليه. والامير وحده هو المسؤول. والمسيحي لا يثور ويتحمل العذاب والظلم. مبرراً ذلك بالقول : "يوجد في هذه الدنيا مملكتان :الاولى مملكة الرب ، والثانية مملكة الدنيا .المملكة الاولى ترتبط بها النعمة والرحمة ، اما المملكة الثانية فهي مكلفة بالحكم، والقصاص ، والقمع حيال الاشرار ، مثلما هي مكلفة بحماية الصالحين. والخلط بين المملكتين يعني اننا نضع الشيطان في السماء والله في جهنم[٥٤] ".

ان هذا يُدلل بما لا يقبل الشك ، إن لوثر لم يكن "رجل ثورات" ، إذ انه لم يحاول القيام بحرب أو مقاومة للسلطات القائمة في عصره . ومع ان لوثر قد ثار ضد التعاليم المدرسية الا انه ظل متمسكا بكثير من تعاليم القرون الوسطى. وهو ما ظهر جلياً في كتابه (السلطة الزمنية) الذي كان حجر الزاوية لنظريته عن الدولة.

لقد اراد لوثر في كتابه هذا ، ان تكون الدولة قوية حافظة للامن والنظام . ولذا على المسيحيين ان يتصفوا بأخلاق الطاعة والامتثال لكي تتحقق السلطة العادلة عبر جهاز الدولة . فالمسيحي برأيه يجب عليه ان يساعد على تحقيق رغباته ورغبات الاخرين ، وهذا ما لا يمكن الوصول اليه بمعزل عن الادارة السياسية للامراء الموالين للروح اللوثرية. على الرغم من انه كان في بعض الاحوال ينتقد الحكام والامراء والجور، الا انه يرى ضرورة ان يقدم الانسان خدماته من اجل الدولة او السلطة[٥٥]. فالدولة المسيحية تقتضي من الافراد او المواطنين المسيحيين الالتزام بالسلوك الفاضل واتباع تعاليم المسيح بما يحفظ الامن والسلام ويؤدي الى اقامة نظام مسيحي عادل يقضي على كل ما يسير في درب الضلال والفساد ويعمر كلمة الرب عبر الدولة المعززة بالاساس الروحي[٥٦].

ومما يثير السخرية ان لوثر " ذلك الذي دفع في اتجاه الحرية الفكرية في العالم الروحاني ، نراه في العالم السياسي مناوئا لها.فلم يكن من بد من ان يتحول العنصر الالهي في السلطة السياسية من مبدأ تأسيسي مقاوم الى مبدأ قمعي وقسري [٥٧]. ففي المسيحية اللوثرية ، الحرية هي حرية روحية فقط ، لا تنتقل الى فعل ، ولا يجب عليها ذلك ، لأن الإمر لا يعتمد على الإنسان ومشيئته فيما إذا ستتحرّر من أي شيء، بل الى الله[٥٨] .

لقد عزز لوثر البنية النفسية الاجتماعية للتسلط السياسي ، بعد أن الغى حرية الإرادة في منظومته اللاهوتية ((فهو بجعله الفرد يشعر باللاجدوى واللاجدارة ، وبجعله يشعر انه اشبه بالاداة العاجزة في يدي الله ، انما ينتزع منه الثقة بالنفس والشعور بالكرامة الانسانية التي هي المقدمة لأي وقفة جازمة ضد السلطات

الدنيوية القاهرة [٥٩])). وأن لمن المؤكد إن فيورباخ كان محقاً في نقده الساخر للوثر ، بعد أن قابل الأخير بين النعمة الإلهية وحريّة الإرادة ، مرجحاً أن الإنسان ليس له أن يفعل شيء بإرادته الخاصة وأن الامور جميعاً مردها للنعمة الإلهية . يقول فيورباخ ((في الدين تُعتبر طبيعة الإنسان منفصلة عن الإنسان . الفعالية ، النعمة الإلهية هي العفوية المُسقطة للإنسان ، الإرادة صُيّرت موضوعية . من هنا فمن دواعي الشرف العظيم للوثر وفهمه للحقيقة ... بأنه أنكر دون قيد أو شرط الإرادة الحرة للإنسان كمقابل للنعمة الإلهية[٦٠])).وما يؤكد ما تقدم ، هو خلاف لوثر الفكري العميق مع رائد النزعة الإنسانية الهولندي (إراسموس Erasmus) ، حول رؤية الأخير في كتابه (رسالة في حرية الأختيار) ، التي رد عليها لوثر في رسالته (في الجبر) . لقد ناهض لوثر أصحاب هذه التوجهات الذين عملوا على التوفيق بين روح عصر النهضة والإصلاح ، والإيمان والمعرفة . . ويبدو ان هذه المواقف قد تنسجم مع توجهات لوثر المهادنة سياسياً أوآخر حياته. وهي تتعارض مع ما أوحت به كتيباته العظمى في ١٥٢٠م. [٦١] .

لقد راحت الكنيسة تخضع لسلطة الامير السياسية ، بعد ما كانت منفصلة عن سلطة الدولة ونظامها وقوانينها "كانت الكنيسة في القرون الوسطى مستقلة عن الدولة ، فكان لها تنظيمها وقانونها الكنسي ونظامها المالي ، الخاص بها .وكانت مترفعة عن الفروق القومية والسلطات الزمنية المتغيرة .ولكن الكنيسة اللوثرية انطبعت (خلافا لذلك) بطابع الاقليمية والمذهبية وانصاعت لوصاية الدولة التي اخذت تنظم الشعائر الدينية وتمارس الرقابة وتعين الكهنة وتدفع رواتبهم وتحمي العقيدة [٦٢] . والنتيجة هي: أن لوثر أعاد ماكان قد سعى الى هدمه . فقد أخذ بتنظيم حملة زيارات للكنائس اللوثرية الناشئة - بعد موافقة الملك وبمساعدة صديقة سبالاتين (Spalatin) إمتدت من سنة ١٥٢٧الى سنة ١٥٢٩ ، وعلى إثرها كتب ما يدعى (أصول الإيمان المفصل وأصول الإيمان المختصر). ليرّسخ بناءه الكنسي الجديد في (الوصايا العشر وهي عبارة عن مرآة للخطية، وقوانين الإيمان كإعلان لمغفرة الخطايا، والصلاة الربانية التي تعلن رحمة ومحبة الله، وفريضة العماد ، وفريضة العشاء الرباني)[٦٣]. ولقد بدا لوثر أقرب الى صورة البابا الجديد . فثمة وصايا جديدة تحل محل القديمة ، وها هو محطم العقائد القديمة يفرض عقائد جديدة . لم يعد الأمر يتعلق ببناء روح داخل الجسد المتداعي للكنيسة القديمة ، بل وجود كنيسة اخرى مقابل كنيسة، كنيسة منقطعة كليا عن الاخرى ، بكيان أميري زمني متحجر ، مهيمن وذي مصالح ومنافع . فغدا مُجدد الدين سلفياً وأنتكس الإصلاح على يديه في النهاية.

الخاتمة

لم يختلف حُكم التاريخ على رجل، بقدر إختلافه على لوثر. فهو تارة ، الراهب المضطرب قلق الروح والقس فاسد الاخلاق الذي تزوج . وهو تارة أخرى ، المسيحي التقي الذي عاش حياة الإيمان العميق في شخص يسوع المسيح . رآه البعض مفسداً ، ووصفه اخرون مصلحاً . كان لأفكاره أثراً آنياً مباشراً ، مثلما أخذت تداعياتها أبعاداً مختلفة على طول العصور التي تلتها. كما ستضل إطروحات لوثر في الإصلاح الديني موضوعاً خصباً للنقاش وإختلاف الرؤى. فمن ناحية، كانت عقيدته في البر بالإيمان ولا جدوى الأعمال ، المناهضة لصكوك الغفران ، قد هدمت تاريخاً طويلاً من نظام بابوي أستغل الإنسان بغطاء الوساطة بين

الارض والسماء ، بين الإنسان والله. وممثلوا الله المحتكرون لاسرار الكتاب المقدس قد فقدوا سطوتهم بعد أن فكك لوثر طلاسم هذا الكتاب العبرية وجعله في متناول الجميع حيّن أنجز أعظم أعماله بترجمته بعهديه القديم والجديد الى اللغة الألمانية . وليس من عصمة الا للإنجيل المقدس الذي يمكن للمسيحي المستنير أن يُبشّر بكلمته، وهو ليس بحاجة لقساوسة لهدايته. لذا ، ومن هذه الناحية فأن لوثر غدا داعية النزعة الفردية ومبشر الحداثة. ومن ناحية أخرى ، لم تكن هذه الحداثة ، غير حداثة مقلوبة وممزقة ، اذ عززت تعاليمه اللاهوتية - في الجبرية ونفي الإرادة الإنسانية في مقابل الإرادة الإلهية – شعور الإنسان بالعجز ، مما اسهم في توفير بنية نفسية للتسلط السياسي لدى الجمهور . كان محتجاً على سلطان البابا الاجنبي ، ألا إنه مذعن لسلطان قومه ، قادته نزعته المهادنة سياسياً الى أن يخذل ثورة عصره وأن ينبذ زعماء التغيير الراديكالي ، فكان باراً بمعطف السياسة الذي لولاه لم يخرج إصلاحه الى النور ولم يُكتب له النجاح .

كان لوثر رجلاً واحداً ، ولكن بوجوه شتى . وهو لوثر ذو الرؤوس السبع . كما وصفه أول كاتب كاثوليكي لسيرته .

هوامش البحث

(١) هاينريش هايني : في تاريخ الدين والفلسفة، ت– صلاح حاتم، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية-اللاذقية، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ص ٥٤-٥٥.

٢) ينظر - حنا جرجس الخضري : المصلح مارتن لوثر (حياته وتعاليمه)، دار الثقافة المسيحية ، القاهرة . ص ١٢-١٤ . كذلك ، ينظر- تيوبالد سوس: لوثر ، ت حسيب نمر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩١٨، ص ٩.

٣) ينظر – حنا جرجس الخضري : المصدر السابق ، ص ١٦-١٨ . كذلك . ايفان غوبري : لوثر (السيرة الذاتية) ، ت سلمان حرفوش، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ٢٠٠٧، ص ١١.

٤) ينظر – جون لوريمر : تاريخ الكنيسة ، ج ٤ ، ت – عزرا مرجان ، دار الثقافة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٢ ، ص ٩٠-١١٠. كذلك - حنا جرجس الخضري ، المصدر السابق ، ص ٢٨-٣٩.

٥) ينظر – حنا جرجس الخضري : المصدر السابق ، ص ٢٨. كذلك – إيفان غوبري : المصدر السابق ، ص ١٢-١٣.

٦) حنا جرجس الخضري : المصدر السابق ، ص ٣٩ – ٤٠ .

٧) المصدر نفسه ، ص ٤٠ – ٤١ .

٨) المصدر نفسه ، ص ٣٩ . كذلك ينظر – سكوت اتش هندريكس : مارتن لوثر (مقدمة قصيرة جداً) ، ت – كوثر محمود محمد ، م –هبة عبد العزيز غانم ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١٤ ، ص٢٩.

٩) ينظر - إيفان غوربي : المصدر السابق ، ص ٤٥.

١٠) سكوت إتش هندريكس : المصدر السابق ، ص ٣٠-٣٣.

١١) ينظر - سورين كيرككورد: في نقد الدين الجماهيري ، ت قحطان جاسم ، منشورات ضفاف ، بيروت ،٢٠١٥، ص.٢٤-٢٦.

١٢) هيجل – جدلية الدين والتنوير"من دروس فلسفة الدين لهيجل"- ت- أبي يعرب المرزوقي ، ط ١، هيئة ابو ظبي للسياحة والثقافة مشروع "كلمة"، ٢٠١٤، ص ٣٩.

١٣) تيوبالد سوس: لوثر ، ت حسيب نمر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩١٨، ص ١٤-١٥.

١٤) ينظر - حنا جرجس الخضري : المصدر السابق ، الفصل الخامس . ص ٥٤.

١٥) جون ليرمر : المصدر السابق ، ص ٣٥ – ٣٧.

١٦) ينظر - حنا جرجس الخضري : المصدر السابق ، الفصل الخامس ، ص ٥٥. كذلك – سكوت اتش هندريكس : المصدر السابق ، ص ٣٦.

١٧) المصدر نفسه ، ص ٥٦.

[١٨]) سكوتش إتش هندريكس ، المصدر السابق ، ص ٣٥.

[١٩]) المصدر نفسه ، ص ٣٦.

٢٠) إيفان غوربي : المصدر السابق ، ص ٥٢.

٢١) تيوبالد سوس : المصدر السابق ، ص ٤٤.

٢٢) ينظر- لودفيج فيورباخ : جوهر الإيمان بحسب مارتن لوثر ، ت – جورج برشين ونبيل فياض ، دار الرافدين ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٧.ص ٧٢.(هامش المترجم).

٢٣) جان ادوارد سنبله : المصدر السابق ، ص ١١.

٢٤) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

٢٥) لودفيج فيورباخ : جوهر الإيمان ، ص ١٣٩.

٢٦) المصدر نفسه ، ص ٣٩ – ٤٠ .

٢٧) جان ادوارد سنبله : الفكر الالماني من لوثر الى نيتشه،ت تيسير شيخ الارض منشورات وزارة الفافة ، دمشق ، ١٩٨٦، ص ١٢.

٢٨) المصدر نفسه ، ص ١٣.

٢٩) إيفان غوبري : المصدر السابق ، ص ٢٢٠.

٣٠) حنا جرجس الخضري : المصدر السابق ، الفصل السابع ، ص ٥٩- ٧١.

[٣١]) سكوت إتش هندريكس : المصدر السابق ، ص ٢١ .

٣٢) ينظر – حنا جرجس الخضري : المصدر السابق ، الفصل السابع ، ص ٦١-٦٥.

٣٣) ينظر – المصدر نفسه ، الصفحات نفسها .

٣٤) إيفان غوبري : المصدر السابق ، ١٨٩ .

٣٥) حنا جرجس الخضري : المصدر السابق ،الفصل العاشر .

٣٦) ينظر – المصدر نفسه ، الفصل العاشر.

٣٧) ينظر – المصدر نفسه ، الفصل العاشر .

٣٨) محمد الشيخ : فصل المقال فيما بين السياسة واللاهوت من اتصال عند كارل شميت، ضمن كتاب الدين والسياسة من منظور فلسفي ،مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء٢٠١١ ، ص ١٤٢.

٣٩) حنا جرجس الخضري : المصدر السابق ، الفصل الثالث عشر .

٤٠) إيفان غوبري : المصدر السابق ، ص ٢٠٨.

٤١) حنا جرجس الخضري : المصدر السابق

٤٢) ألان تورين : نقد الحداثة ، ت – أنور مُغيث ، منشورات المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ٦٣.

٤٣) صلاح سالم : من الحركة البروتستانتية إلى العلمانية السياسية ، جريدة الحياة http://www.alhayat.com

٤٤) انطوني جدّنز: الرأسمالية والنظرية الإجتماعية الحديثة (تحليل كتابات ماركس ودركهايم وماكس فيبر) ، ت – أديب شيش ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، ٢٠٠٨ ، ص ٣٤٤.

٤٥) مارسيل غوشيه : نشأة الديمقراطية – الثورة الحديثة ، ت – جهيدة لاوند ، منشورات دراسات عراقية ، بغداد- بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٩ ، ص ٥٣ – ٥٤ .

[٤٦]) سكوت إتش هندريكس : المصدر السابق ، ص ١٨

٤٧) ينظر – حنا جرجس الخضري : المصدر السابق ، الفصل الخامس عشر والسادس عشر .

٤٨) ينظر - المصدر نفسه ، الفصلين نفسهما .

٤٩) جورج قرم : تاريخ أوربا وبناء أسطورة الغرب ، ت – د. رلى ذبيان ، دار الفارابي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١١، ص ٢٧٧.

٥٠) ينظر – حنا جرجس الخضري : المصدر السابق ، الفصل السابع عشر.

٥١) المصدر نفسه ، الفصل السابع عشر.

٥٢) ينظر – إيفان غوربي : المصدر السابق ، الصفحات ٢٩٤، ٣٣٤ ، ٣٥٣.

[٥٣]) سكوت إتش هندركسن : المصدر السابق ، ٧٤.

٥٤) ايفان غوربي : المصدر السابق ، ص ٣٦٢.

٥٥) ستيفن ديلو تيموثي ديل : التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني ، ت - ربيع وهبة ، منشورات المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٠، ص ١٨٢. ٢٢٧.

٥٦) المصدر نفسه ، ص ١٨٣.

٥٧) المصدر نفسه ، ص ١٨٥.

٥٨) لودفيج فيورباخ : جوهر المسيحية ، ت – جورج برشين ، تق – نبيل فياض ، دار الرافدين ، لبنان – كندا ، ط ١ ، ٢٠١٦ ،

٥٩) اريك فروم :الخوف من الحرية ، ت- مجاهد عبد المنعم مجاهد ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٧٢، ص ٧٤.

٦٠) لودفيج فيورباخ : جوهر المسيحية ، ص ٣١٠.

٦١) ألن تورين ، المصدر السابق ، ص ٦٣-٦٥.

٦٢) جان ادوارد سنبله : المصدر السابق ، ص ١٨-١٩ .

٦٣) ينظر - حنا جرجس الخضري : المصدر السابق ، الفصل التاسع عشر.

قائمة المصادر

١- انطوني جدّنز: الرأسمالية والنظرية الإجتماعية الحديثة (تحليل كتابات ماركس ودركهايم وماكس فيبر) ، ت – أديب شيش ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، ٢٠٠٨.

٢- ايفان غوبري : لوثر (السيرة الذاتية) ، ت سلمان حرفوش، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ٢٠٠٧. ألان تورين : نقد الحداثة ، ت – أنور مُغيث ، منشورات المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٧

٣- ألان تورين : نقد الحداثة ، ت – أنور مُغيث ، منشورات المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٧ .

٤- اريك فروم :الخوف من الحرية ، ت- مجاهد عبد المنعم مجاهد ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٧٢

٥- حنا جرجس الخضري : المصلح مارتن لوثر (حياته وتعاليمه)، دار الثقافة المسيحية ، القاهرة . ب ت.

٦- تيوبالد سوس: لوثر ، ت حسيب نمر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩١٨.

٧- جان ادوارد سنبله : الفكر الالماني من لوثر الى نيتشه،ت تيسير شيخ الارض منشورات وزارة القافة ، دمشق ، ١٩٨٦

٨- جورج قرم : تاريخ أوربا وبناء أسطورة الغرب ، ت – د. رلى ذبيان ، دار الفارابي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١١

٩- جون لوريمر : تاريخ الكنيسة ، ج ٤ ، ت – عزرا مرجان ، دار الثقافة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٢ .

١٠- سكوت اتش هندريكس : مارتن لوثر (مقدمة قصيرة جداً) ، ت – كوثر محمود محمد ، م –هبة عبد العزيز غانم ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١٤ .

١١- سورين كيرككورد: في نقد الدين الجماهيري ، ت قحطان جاسم ، منشورات ضفاف ، بيروت ،٢٠١٥

١٢- هيجل : جدلية الدين والتنوير"من دروس فلسفة الدين لهيجل"- ت- أبي يعرب المرزوقي ، ط ١، هيئة ابو ظبي للسياحة والثقافة مشروع "كلمة"، ٢٠١٤

١٣- تيوبالد سوس: لوثر ، ت حسيب نمر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩١٨،

١٤- لودفيج فيورباخ : جوهر الإيمان بحسب مارتن لوثر ، ت – جورج برشين ونبيل فياض ، دار الرافدين ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٧

١٥- لودفيج فيورباخ : جوهر المسيحية ، ت – جورج برشين ، تق – نبيل فياض ، دار الرافدين ، لبنان – كندا ، ط ١ ، ٢٠١٦ ،

١٦- محمد الشيخ : فصل المقال فيما بين السياسة واللاهوت من اتصال عند كارل شميت، ضمن كتاب الدين والسياسة من منظور فلسفي ،مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء٢٠١١

١٧- مارسيل غوشيه : نشأة الديمقراطية – الثورة الحديثة ، ت – جهيدة لاوند ، منشورات دراسات عراقية ، بغداد- بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٩

١٨- هاينريش هايني : في تاريخ الدين والفلسفة ، ت – صلاح حاتم ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية-اللاذقية ، ط ١ ، ١٩٨٨.

١٩- جورج قرم : تاريخ أوربا وبناء أسطورة الغرب ، ت – د. رلى ذبيان ، دار الفارابي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١١

٢٠- ستيفن ديلو تيموثي ديل : التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني ، ت - ربيع وهبة ، منشورات المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٠